ورقة عمل بعنوان : الاسهامات الطبية لعلماء المسلمين واثرها في النهضة العلمية الطبية الاوربية:

الباحثة: أ. د. م. أنوار زهير نوري.
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن

المقدمة:

... حظي علم الطب باهتمام بالغ من المسلمين في ظل الحضارة الإسلامية، ولقي تشجيعاً كبيراً وعناية واسعة من خلفاء المسلمين وسلاطينهم على مر العصور الإسلامية. تجلى ذلك في الاهتمام الكبير في هذا العلم تعلماً وتعليماً وعناية بتعريب الآثار السابقة لهم وتطوير هذا العلم بمدارسه وفروعه وتشجيع المنتمين له. وقد برع المسلمون في الانفتاح على مآثر الطب عند الأمم السابقة، وبخاصة الطب اليوناني، وعملوا على نقل مجموعات كبيرة من المؤلفات الطبية اليونانية إلى اللغة العربية في مختلف فروع العلم. ولم يقفوا عند هذا الحد، بل أضافوا إليها الكثير من بحوثهم وابتكاراتهم وتجاربهم الشخصية، فكثرت شروحاتهم لها من واقع مشاهداتهم، وازدادت عناية المسلمين في هذا العلم حتى بلغ درجة عالية من التطور وسار به العلماء شوطاً كبيراً، فوضعوا له أصولاً ومناهج نظرية، وألفوا فيه كتباً كثيرة في مختلف التخصصات الطبية بجانب التجارب العملية التي كانت تجرى في المستشفيات حيث كان طلبة الطب يمرون على المرضى مع أساتذتهم ويقابلون ما درسوه نظرياً بما يشاهدونه واقعاً، مما كان له الأثر الواضح في تطور العملية التعليمية للطب عند المسلمين. وقد أدى ذلك بدوره إلى إنتاج كم هائل من الآثار والدراسات الطبية المبتكرة التي كان لها الأثر الواسع في إثراء الدراسات الطبية وارتقائها حتى بلغ المسلمون بهذا العلم موقع الريادة بين الأمم، وكان لهم الفضل الكبير في تقدم الإنسانية ورقي الأمم في هذا العلم.

ومن الأجزاء المهمة في العالم الذي ناله هذا الخير الإسلامي الطبي هو القارة الأوروبية والتي تتكلم الورقة التي اعددتها عن هذا الإنجاز.

تشجيع السلطة الإسلامية للبحوث الطبية:

وكان من مظاهر تشجيع المسلمين لهذا العلم ذلك الاهتمام الكبير بإنشاء دور التعليم التي تعنى بتدريس العلوم الطبية، وفي اختيار الأطباء المبرزين للتدريس في هذه المراكز والإشراف عليها حيث تعددت تلك المراكز وتنوعت. فدرِّس علم الطب في المساجد ومنازل العلماء ومجالس طبية عامة والبيمارستانات. وفوق هذا كله، تميزت الحضارة الإسلامية بظهور مدارس أنشئت خصيصاً لتدريس هذا العلم، لم يكن لها غرض آخر غير تدريس الطب يشرف عليها أساتذة متخصصون ويدرس فيها رؤساء الطب المتميزون ويطبق فيها نظام تعليمي دقيق، مما كان له الأثر الواضح في تطور الدراسات الطبية وارتقائها.

سيادة الأطباء المسلمين على إطباء العالم لغاية القرن الثامن عشر الميلادي:

... وبتعدد تلك المراكز الطبية وتنوعها عند المسلمين اشتهر فيها عدد كبير من الأطباء المتميزين الذين خلفوا تراثاً طبياً رائعاً ودراسات رائدة أثرت هذا العلم بصورة كبيرة. ليس هذا فحسب، بل إن من هؤلاء الأطباء من بلغ بروزه في هذا العلم درجة جعلته مَنْشَد طلبة العلم في كل موقع سواء بالحضور إليه أو بدراسة آثاره ومؤلفاته بلغاتها العربية أو ترجمتها إلى لغات أخرى، الأمر الذي أكد فضل علماء المسلمين في تطور الطب الحديث وأثرهم على غيرهم من الأمم في معرفة هذا العلم والارتقاء به، وهو أمر واضح وجلي لمعظم المشتغلين في حقل الطب وتاريخه في مختلف دول العالم. وقد جسد ذلك الأثر عدد من العلماء والكتاب في الحضارة. من ذلك ما كتبه خوسيه لويس بارسلو في بحث ألقاه في المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، المعقود في دولة الكويت تحت عنوان: "أثر العلوم الإسلامية في تطور الطب":

إن الأهمية الحقيقية والحاسمة للعلوم الإسلامية في الماضي تكمن في أثرها في تطور الطب في المستقبل. فبفضل الإسلام، وجدت القواعد الحالية لعلوم الطب. ولقد حان الوقت لنعرف مثل هذه الحقائق، وأن يحتل العالم الإسلامي مكانته الصحيحة في حقل العلم إحقاقاً للحق. ففي عام ٩٥٣م أرسل أوتو العظيم ملك الألمان سفيراً

من لدنه إلى قرطبة، إلى راهب يدعى جون الذي عاش ما يقرب ثلاث سنوات في عاصمة الخلافة الأندلسية. وقد تعلم العربية بإتقان. وعند عودته إلى موطنه، حمل معه مئات المخطوطات الطبية والعلمية القيمة، والتي ساعدت على نشر جوهر علوم العرب العظيمة في أوربا الغربية بصورة سريعة ومدهشة.[1]

وفي احتفال أقيم في جامعة برلين بألمانيا، أشار الدكتور غريسيب رئيس فرع الطب فيها إلى فضل العلماء المسلمين على الإنسانية في علم الطب فقال:

أيها الطلاب المسلمون، والآن قد انعكس الأمر، فنحن الأوربيون يجب أن نؤدي ما علينا تجاهكم. فما هذه العلوم إلا امتداداً لعلوم آبائكم، وشرحاً لمعارفهم ونظرياتهم، فلا تنسوا أيها الطلبة تاريخكم، وعليكم بالعمل المتواصل لتعيدوا مجدكم الغابر، طالما أن كتابكم المقدس، عنوان نهضتكم، ما زال موجوداً بينكم وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا للمستقبل. ففي قرآنكم علم وثقافة، ونور ومعرفة، وسلام عليكم يا طلابنا إن كنا في الماضي طلابكم.[2]

... ويضيف الأستاذ جلال مظهر في كتابه: "حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي" قائلاً:

كان المسلمون في خلال القرن التاسع الميلادي قد تمثلوا واستوعبوا استيعاباً تاماً المعارف الطبية التي خلفها القدماء، وخاصة اليونان، واستطاع الأطباء المسلمون في أقصر وقت ممكن أن يجلسوا على عرش الطب وحدهم، ويميزوا أنفسهم باعتبارهم حاملين لواء هذا العلم والمسؤولين عن تقدمه وارتقائه في خلال العصور الوسطى برمتها. ولقد بقي تأثيرهم في بعض الحالات إلى عصر النهضة وبعده أيضاً. والحق أنهم تفرقوا على اليونان. وتدلنا جميع الوثائق التاريخية على أن جميع

---

[1])الفاضل عبيد عمر، "الطب الإسلامي عبر القرون"، الرياض، دار الشواف، جده، دار المطبوعات الحديثة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص.٨٢.

[2]) جلال مظهر، "أثر العرب في الحضارة الأوربية"، بيروت، دار الرائد، ١٩٦٧م، ص.١٩٢.

الأطباء والمؤلفين الأوربيين في الطب في القرون الوسطى استقوا معظم كتاباتهم وأهمها عن العرب لا عن اليونان.[٣]

ويذكر الدكتور علي عبد الله الدفاع في كتابه "لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الأوائل" أن هناك إجماعاً بين مؤرخي العلوم على أن ما قدمه العلماء المسلمون الأوائل في حقل الطب يعتبر الأساس المتين للطب الحديث. ويؤكد ذلك الأستاذ قالدستون الذي أورد في مقالته "مكتشف الطب في بلاد العرب" أنه مما لا يقبل الجدل أن المعلومات التي وصلت إلينا من أطباء العرب هي في الحقيقة الحجر الأساسي للطب الحديث؛ ولولا هذه الإسهامات العظيمة، لما وصل الطب الحديث إلى المستوى الذي وصل إليه.[٤]

ويضيف الأستاذ روم لاندو في كتابه "الإسلام والعرب":

لم يوسع المسلمون في دراستهم وبحوثهم الطبية آفاق الطب فحسب، بل وسعوا المفاهيم الإنسانية على وجه العموم. وإذا كان من واجبنا أن نعتبر فلق الذرة والقنبلة الذرية رمزاً لأروع المنجزات العلمية في منتصف القرن العشرين، فلن يبدو من مجرد المسافة أيضاً أن تكون جهود المسلمين الطبية المبكرة قد قادتهم إلى اكتشاف لا يقل عن هذا الكشف الذري ثورية.

... وهكذا يتضح لنا جلياً المجهود الذي بذله الأطباء المسلمون الأوائل في سبيل تقدم الطب وازدهاره. ويظهر لنا الأثر الذي تركته هذه المجهودات في تثبيت قواعد الطب الحديث في العالم على أساس سليم قائم على العلم.[٥]

<u>انتقال العلوم الطبية عند المسلمين إلى أوروبا وأثره في تطورهم:</u>

... أما "انتقال العلوم الطبية عند المسلمين إلى أوربا وأثر ذلك في تطور علم الطب عند الأوربيين"، وهو موضوع حديثنا في هذه الورقة، فقد سجل في تاريخ الإنسانية

---

[٣]) جلال مظهر، "حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي"، القاهرة، مكتبة الخانجي، صص.٣٢٠-٣٢١.

[٤]) علي عبد الله الدفاع، "لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الأوائل"، الرياض، دار الرفاعي، ١٩٨٣م، ص.٢٧.

[٥]) الفاضل عمر، "الطب الإسلامي عبر العصور"، ص.٨٣-٨٤.

بمداد من نور وتواترت شهادات المنصفين في تجسيد ذلك. إذ أنه في الوقت الذي ازدهر فيه علم الطب عند المسلمين وبلغ درجة عالية من التطور بالاكتشافات الطبية الرائدة والمؤلفات العلمية المهمة، وبما اشتهر به المسلمون من طرق مبتكرة في تشخيص الأمراض وطرق العلاج وصنع العقاقير والمركبات الطبية المتنوعة، وتطوير مجالي الجراحة والتشريح، والتوسع في بناء المستشفيات (البيمارستانات) والتفنن بها، فقد بقيت أوربا –وخاصة بين القرنين الأول والخامس الهجري (أي بين القرنين السابع والحادي عشر الميلادي)– في ظلام دامس يعتبر ما وصل إليه العلماء المسلمون في الطب خرافة ووهماً لا فائدة منهما. ولم يتغير ذلك الاعتقاد إلا في عصر النهضة الأوربية، أي نصف القرن الخامس عشر الميلادي. لذا اعتمدت معظم جامعات ومستشفيات أوربا اعتماداً كلياً على إنتاج علماء المسلمين.[٦]

... وقد نشرت مجلة "العالم الإسلامي" الطبية الصادرة في لندن مقالاً للدكتور عبد العزيز عاشور تحدث فيه عن أوربا في العصور المظلمة ودخول الطب الإسلامي إليها، ودور الأندلس في نشر الوعي الطبي بين الأوربيين. فذكر الكاتب أنه في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية الإسلامية في عصرها الذهبي، كانت أوربا الغربية تعيش في ظلام وبربرية؛ وكان الدجالون والمشعوذون هم الذين يعتمد عليهم المرضى في العلاج. فقد أصاب سقوط الإمبراطورية الرومانية أوربا كلها بالشلل، واختفت المدارس الرومانية الوحيدة في أوربا، وحلت محلها مدارس كنسية لم تهتم كثيراً بالعلوم الطبية.

<u>دور الأطباء المسلمين والجامعات والمدارس والمؤلفات الإسلامية في تطور الطب في أوروبا:</u>

... ومما بلغ حداً واسعاً في التأثير هو تلك المؤلفات الطبية الإسلامية التي لقيت اهتماماً كبيراً من الأوربيين وترجمت إلى مختلف اللغات الأوربية. واستمرت تلك المؤلفات قروناً عدة كانت خلالها هي المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الأوربيون في تعلم الطب سواء بأصولها العربية أو بترجماتها. يقول رونلد كامبل في كتابه

---

[٦]) علي عبد الله الدفاع، "أعلام العرب والمسلمين في الطب"، دار الرسالة، ١٩٨٣م، ٢، ص.٢١.

"الطب العربي": "لقد بقيت جامعات أوربا تستند تماماً على إسهامات علماء العرب في الطب، بل إن مقرراتهم في كليات الطب بقيت تستعمل "القانون" لابن سينا و"الحاوي" للرازي وغيرهما حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي".[٧]

... كما طغى تأثير أطباء المسلمين على العالم الغربي عبر القرون اللاحقة، وبالأخص خلال الفترة من القرن الخامس إلى الثامن الهجري (الموافق الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي). فقد بقي علماء أوربا يتعلمون في مدارس وجامعات الأمة الإسلامية في الأندلس وصقلية وغيرها، حتى تمكنوا من اللغة العربية. ثم قاموا بترجمة علوم المسلمين في الطب وغيره. يقول كل من ج. قراتان وشارلز سنجر في كتابهما "السحر والطب عند الأنجلوسكسوني":

ومما لا يقبل الشك أن تأثير علماء العرب والمسلمين في الطب على أطباء أوربا خلال القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي، لا يحتاج إلى برهان. والجدير بالذكر أن كثيراً من المنصفين من علماء أوربا الغربية، يعترفون بما قدمه علماء العرب والمسلمين في العلوم، كما أن النظريات والأفكار الطبية صارت تدرس في جميع أنحاء المعمورة. ومن يحب أن يتفنن في حقل الطب بفروعه المختلفة، يلزمه إجادة اللغة العربية.[٨]

ويقول العلامة دريبر، المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا:

إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم، وكان ملوك أوربا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها. وأول مدرسة أنشئت للطب في أوربا هي المدرسة التي أسسها العرب في "باليرم" من إيطاليا.[٩]

---

[٧]) الفاضل عمر، الطب الإسلامي عبر العصور"، ص.٨٠.

[٨]) الفاضل عمر، الطب الإسلامي عبر العصور"، ص.٨١-٨٢.

[٩]) أحمد عبد الرحيم السايح، "أضواء على الحضارة الإسلامية"، الرياض، دار اللواء، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص.١٠٦.

ويشار هنا إلى أن أوربا قد استمدت معارفها وعلومها من الحضارة الإسلامية، من خلال ثلاثة طرق رئيسة هي: بلاد الأندلس في الغرب الإسلامي، وجزيرة صقلية، والحروب الصليبية في الشرق الإسلامي.

وقد اشتهرت الأندلس بتعدد المراكز العلمية المنتشرة في جميع أنحاء مدنها مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة وبلنسية وغيرها من المدن وارتحل كثير من تلامذة الإفرنج إلى مدارس الأندلس، ودخلوا في جامعاتها أفواجاً، وكانت الأندلس في ذلك العصر في أسمى منزلة من منازل العلوم والآداب، ثم رجعوا إلى أوطانهم متنورين متبحرين في العلوم والفنون.[١٠]

وبدأت تظهر جامعات أوربية تعنى بالطب الإسلامي مثل جامعة نابولي وباريس وبولونيا وغيرها. وفي هذه الجامعات لمعت أسماء الأطباء المسلمين الرازي وابن سينا والزهراوي، وأصبحت كتبهم مراجع أساسية لطلاب هذه الجامعات وأساتذتها. وصارت الأدوية والوصفات الطبية وأدوات الجراحة الإسلامية متداولة في أروقة هذه الجامعات حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

فمما ترجم جيرارد الكريموني من كتب الطب، "القانون في الطب" لابن سينا، وكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" (قسم الجراحة) للطبيب الجراح الأندلسي أبي القاسم الزهراوي، وكان كتاباً تعليمياً زهاء خمسة قرون في أوربا، وكتاب "التذكرة في طب العيون وجراحتها" لعلي ابن عيسى الكحال الدمشقي، وعرف هذا المؤلف في أوربا اللاتينية باسم Haly، وترجم معه كتاب عمار الموصلي في طب العيون أيضاً، وقد استخدما معاً في جامعات أوربا حتى القرن الثامن عشر، وكتاب "المنصوري" للرازي، وقد ذاعت المقالة العاشرة منه عن الحميات ذيوعاً كبيراً في أوربا، وطبعت عدة مرات. [١١]

وفي القرن الثالث عشر الميلادي ترجم فرج بن سالم أشهر الكتب الطبية العربية وأوسعها بعد "القانون" لابن سينا، وهو كتاب "الحاوي" لأبي بكر الرازي، كما ترجم

---

[١٠]) "انتشار العرب وعلومهم في فرنسا"، الهند، مطبعة أسرار كريمي، ١٩٤١م، ص.١٤.

[١١]) سيد رضوان علي، "العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية"، الرياض، دار المريخ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧، صص.١١١-١١٢.

في هذا القرن كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" لابن زهر الأندلسي الذي كان أحد أعلام الطب البارزين في الأندلس، وبالتحديد في العصر الموحدي الذي شهد نهضة طبية رائدة؛ وهو الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر المتوفى سنة ٥٥٧هـ والذي ترك لنا مؤلفات جليلة مشهورة كان من أبرزها هذا الكتاب الذي ركز فيه على فكرة أن التجربة خير وسيلة لاكتشاف الأمراض وعلاجها، مما قاده إلى الخروج بآراء مبتكرة تقوم على الحقائق الثابتة. وقد تنبه الأوربيون لأهمية هذا الكتاب منذ القرن الثالث عشر الميلادي، حيث ترجم إلى العبرية أولاً ثم إلى اللاتينية. وصار هذا الكتاب أحد المصادر المهمة التي كانت تدرس في المراكز الطبية المشهورة في أوربا حتى القرن الثامن عشر الميلادي.[١٢]

انجاز تاريخي إسلامي يشع من أوروبا في زمن كورونا!!!!

ومما يجدر الإشارة إليه أن إنجازات الإطباء المسلمين في أوروبا لم تقتصر على القرون الوسطى فحسب بل هي مستمرة حتى وقتنا الحاضر ذلك أن أول لقاح لمقاومة وباء كورونا كان اكتشافاً على يد عالمين مسلمين ألمانيين من أصل تركي وهما أوغر شاهين وزوجته أوزلم توراجي وهو يعتبر اكتشافاً تاريخياً على يد علماء مسلمين في مجال الطب .

فالرجل التركي المولد أوغر شاهين (٥٥ عاماً) هو المدير التنفيذي لشركة التكنولوجيا الحيوية الألمانية بيونتيك. وقد قام بتأسيسها مع زوجته وزميلته في مجلس الإدارة أوزلم توراجي(٥٣ عاما).[١٣]

ليتبين لنا أخيراً أن إنجازات العلماء المسلمين في أوروبا والعالم لها الأثر العظيم والكبير منذ القدم وحتى يومنا هذا.

---

[١٢]) يوسف بن علي العريني، "الحياة العلمية في الأندلس في العصر الموحدي"، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٦هـ، صص.٣٣٢-٣٣٥.

[١٣]) https://www.bbc.com/arabic/world-54874243. منقول من موقع ال بي بي سي البريطانية.

أوغر شاهين وزوجته أوزلم توراجي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.